

إحياء علوم الدين

هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه أن لا يتكبر ولا يرى لنفسه قدرا .
فهذا هو التكبر بالعلم والعمل .

الثالث التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه عملا وعلمًا وقد يتكبر بعضهم فيرى أن الناس له أموال وعبيد ويأنف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي يا هندي يا أرمني من أنت ومن أبوك فأنا فلان ابن فلان وأين لمثلك أن يكلمني أو ينظر إلي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه .

وذلك عرق دفين في النفس لا ينفك عنه نسيب وإن كان صالحا وعاقلا إلا أنه قد لا يترشح منه ذلك عند اعتدال الأحوال فإن غلبه غضب أطفأ ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن أبي ذر أنه قال قاوت رجلا عند النبي A فقلت له يا ابن السوداء فقال النبي A يا أبا ذر طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل // حديث أبي ذر قاوت رجلا عند النبي A فقلت له يا ابن السوداء الحديث أخرجه ابن المبارك في البر والصلة مع اختلاف ولأحمد من حديثه أن النبي A قال له انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى .

فقال أبو ذر C فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدي .

فانظر كيف نبهه رسول الله A أنه رأى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضاء وأن ذلك خطأ وجهل وانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر بأخمص قدم من تكبر عليه إذ عرف أن العز لا يقمعه إلا الذل ومن ذلك ما روي أن رجلين تفاخرا عند النبي A فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك فقال النبي A افتخر رجلا عند موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا فلان بن فلان حتى عد تسعة فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من أهل النار وأنت عاشرهم // حديث أن رجلين تفاخرا عند النبي A فقال أحدهما للآخر أنا فلان بن فلان فمن أنت لا أم لك الحديث أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند من حديث أبي بن كعب بإسناد صحيح ورواه أحمد موقوفا على معاذ بقصة موسى فقط .

وقال رسول الله A ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم أو ليكون أهون على من الجعلان التي تذرف بآنا فيها القدر // حديث ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم أو ليكونن أهون على من الجعلان الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث أبي هريرة .

الرابع التفاخر بالجمال وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو ذلك إلى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب الناس ومن ذلك ما روي عن عائشة B أنها قالت دخلت امرأة على النبي على امرأة دخلت عائشة حديث // اغتبتها قد A النبي فقال قصيرة أنها أي هكذا بيدي فقلت A النبي فقلت بيدي هكذا أي أنها قصيرة الحديث تقدم في آفات اللسان .

وهذا منشؤه خفاء الكبر لأنها لو كانت أيضا قصيرة لما ذكرتها بالقصر فكأنها أعجبت بقامتها واستقصرت المرأة في جنب نفسها فقالت ما قالت .

الخامس الكبر بالمال وذلك يجري بين الملوك في خرائنهم وبين التجار في بضائعهم وبين الدهاقين في أراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له أنت مكد ومسكين وأنا لو أردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن أنت وما معك وأثاث بيتي يساوي أكثر من جميع مالك وأنا أنفق في اليوم ما لا تأكله في سنة وكل ذلك لاستعظامه للغنى واستحقاره للفقير وكل ذلك جهل منه بفضيلة الفقر وآفة الغنى وإليه الإشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا حتى أجابه فقال إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتينني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا وكان ذلك منه تكبرا بالمال والولد